[98] إبراهيم قالوا : (وانّا لفي شكّ ممّا تدعوننا إليه) فيقال لهم : لا نسلّم انّ قوم فرعون كانوا منكرين لوجود الإله ، والدليل على قولنا ، قوله تعالى : (وجحدوا بها استيقنتها أنفسهم ظلماً) وقال موسى لفرعون : (لقد علمتَ ما أنزل هؤلاء إلاّ ربّ السموات والأرض بصائر) فالقراءة بفتح التاء في علمت تدلّ على انّ فرعون كان عارفاً باﷲ ، وأمّا قوم إبراهيم حيث قالوا : (وإنّا لفي شكّ ممّا تدعوننا إليه) فهو مصروف إلى إثبات القيامة وإثبات التكاليف وإثبات النبوّة)(1). وفي التعبير بـ (لقد علمت ....) إشارة واضحة إلى هذا المعنى . والطريف أنّ آيتين من هذه الآيات تذكران في النهاية بعد أخذ الإقرار من الكفّار والمشركين بأنّ اﷲ هو الخالق للإنسان والأرض والسماوات (فأنّى تؤفَكون)(2). وبناء الجملة للمجهول إشارةٌ إلى أنّ ذواتهم تسير في طريق الفطرة ، غير أنّ أسباباً خارجية وهي (شياطين الجنّ والإنس) ، وأسباباً داخلية وهي (أهواء النفس والعصبية الجاهلية) تحرّفهم عن الحقّ رغم تجذّره في أعماق فطرتهم . في حين جاء التعبير في موضع آخر بـ (فأنّى تُسحَرُون) بصيغة المبني للمجهول ، وهي عبارة تطلق على من يتّبع أمراً دون إرادة . ويوجد إحتمال آخر في تفسير هذه الآيات وهو أنّهم كانوا يقولون بأنّ رسول الإسلام ((صلى اﷲ عليه وآله وسلم)) يريد أنْ يحرفنا عن طريق الحقّ أو أنّه ساحر قد سحرنا. فردّ عليهم القرآن : مع أنّكم تُقرّون بأنّ اﷲ هو خالق السماء والأرض والشمس والقمر والبشر ، وهو المدبّر لهذا الكون فكيف يحرفكم أو يسحركم من يدعوكم إلى عبادته ونبذ عبادة غيره ؟ أي عقل يحكم بهذا ؟! إنّ الكثير من المفسّرين ومنهم (الطبرسي في مجمع البيان والعلاّمة

---

1 ـ التفسير الكبير : ج8 ، ص399 وج27 ، ص233 . 2 ـ تؤفكون مشتق من (الإفك) ويعني الإرجاع والحرف ولذا يطلق (الإفك) على الكذب أيضاً كما تطلق (المؤتفكات) على الرياح المعارضة .